Al-Farouk journal of sciences
Volume (2), Issue (3) (JUNE, 2026)
ISSN: 3135-2359

مجلة الفاروق للعلوم
المجلد (2) العدد 3 يونيو 2026
ردمد: 3135-2359

الفلسفة النقدية كمدخل لفهم التفاعل بين الذكاء البشري والاصطناعي: دراسة في تحولات الهوية وإشكاليات الوعي

مريم علي إمحمد التريكي
كلية الآداب الجميل – قسم الفلسفة / جامعة صبراتة
Maryam.atraki@sabu.edu.ly
https://orcid.org/0009-0004-7630-2766

Critical Philosophy as an Approach to Understanding the Interaction Between Human and Artificial Intelligence: A Study in Identity Transformations and the Problems of Consciousness

Maryam Ali Mohammed Al-Turki
Faculty of Arts, Al-Jamil – Department of Philosophy / Sabratha University

تاريخ الاستلام: 2026/04/20 تاريخ المراجعة 05/20/ 2026 تاريخ القبول:2026/06/07- تاريخ النشر: 06/21/ 2026

ملخص :

يتناول هذا البحث الجدلية القائمة بين الذكاء البشري والاصطناعي من منظور الفلسفة النقدية، مركزة على ثلاثة محاور أساسية: أولاً، الفرق الجوهري بين "المعرفة" كفعل إنساني واعٍ و"المعالجة" كعملية آتية خوارزمية. ثانياً، نقد "العقلانية الأداتية" التي قد تحول الذكاء الاصطناعي من أداة لخدمة الإنسان إلى سلطة تملي عليه خياراته الأخلاقية والمعرفية. ثالثاً، تبحث الدراسة في إمكانية خلق "توليفة" جديدة تجمع بين الإبداع البشري المنفلت من القيود والذكاء الآلي المنضبط بالأنماط. يخلص البحث إلى أن الذكاء الاصطناعي رغم تفوقه الحسابي يظل مفتقراً إلى "نقد الذات" و"القصدية"، مما يجعل الدور النقدي للإنسان حارساً أخلاقياً ومعرفياً لا يمكن الاستغناء عنه في هذا العصر الرقمي.

تكمن مشكلة البحث في المخاطر الناجمة عن اختزال العقل البشري في أبعاد خوارزمية، مما يهدد الاستقلال الذاتي والفاعلية الأخلاقية للإنسان، يتبنى البحث المنهج التحليلي النقدي، مستلهماً أطروحات "إيمانويل كانط" حول حدود المعرفة، و"مدرسة فرانكفورت" في نقد العقل الأداتي، توصل البحث إلى أن الذكاء الاصطناعي، رغم كفاءته الحسابية، يفتقر إلى "قوة الحكم" والوعي السياقي، مما يستوجب وضع "إيتيقا نقدية" تضمن بقاء التقنية وسيلة لخدمة الغايات الإنسانية لا بديلاً عنها.

الكلمات المفتاحية :الفلسفة النقدية، الذكاء الاصطناعي، العقل الأداتي، الاستقلال الذاتي، الإيتيقا الرقمية.

Abstract

This research addresses the ongoing debate between human and artificial intelligence from a critical philosophical perspective, focusing on three main axes: First, the fundamental difference between "knowledge" as a conscious human act and "processing" as an algorithmic, automatic process. Second, a critique of "instrumental rationality," which could transform artificial intelligence from a tool serving humanity into an authority dictating its ethical and cognitive choices. Third, the study explores the possibility of creating a new "synthesis" that combines unbridled human creativity with pattern-bound machine intelligence. The research concludes that despite its computational superiority, artificial intelligence still lacks "self-criticism" and "intentionality," making the critical role of humans an indispensable moral and epistemological guardian in this digital age.

The research problem lies in the risks arising from reducing the human mind to algorithmic dimensions, which threatens human autonomy and moral agency. The research adopts a critical analytical approach, drawing inspiration from Immanuel Kant's theories on the limits of knowledge and the Frankfurt School's critique of instrumental reason. The research concludes that artificial intelligence, despite its computational efficiency, lacks "judgmental power" and contextual awareness, necessitating the development of a "critical ethics" that ensures technology remains a tool for serving human goals, not a replacement for them.

Keywords: Critical philosophy, artificial intelligence, instrumental reason, autonomy, digital ethics

مقدمة

يُمثل بزوغ فجر الذكاء الاصطناعي في العصر الحديث انعطافات كبرى لا تقتصر آثارها على الجوانب التقنية فحسب، بل تمتد لتخلخل الركائز الأنطولوجية والإبستمولوجية التي قام عليها تعريف "الكائن العاقل". إن استدعاء "الفلسفة النقدية" في هذا السياق ليس ترفاً فكرياً، بل هو ضرورة حتمية لفحص حدود العقل البشري في مواجهة العقل الخوارزمي ، فإذا كان العقل عند "كانط" هو القوة التي تنظم عالم التجربة عبر مقولات قبلية، فإن الذكاء الاصطناعي يأتي ليعيد صياغة هذه التجربة عبر "بيانات ضخمة" وقوة معالجة فائقة تسعى هذه الدراسة إلى استكشاف التفاعل بين الذكاءين، ليس من باب المفاضلة بل من منظور نقدي يبحث في كيفية تأثر الوعي البشري بالأدوات التي صنعها، وكيف يمكن لهذه العلاقة التفاعلية أن تعيد تعريف مفاهيم الإرادة، والحرية، والحقيقة في عالم مرقمن.

من هنا يشهد العالم المعاصر تحولاً جذرياً غير مسبوق في تاريخ الحضارة الإنسانية، حيث لم تعد التقنية مجرد أدوات خارجية نستخدمها لتسهيل الحياة، بل أصبحت "بيئة ذكية" تتداخل مع نسيج التفكير البشري وصناعة القرار ومع صعود الذكاء الاصطناعي، انتقل الجدل من النطاق التقني الصرف إلى العمق الفلسفي، مثيراً تساؤلات جوهرية حول ماهية الوعي، وحدود الذكاء، ومستقبل الاستقلالية البشرية في ظل هيمنة الخوارزميات.

تأتي "الفلسفة النقدية" في هذا السياق كضرورة حتمية، لا لتقف موقف الرفض من التطور التقني، بل لتلعب دور "البوصلة الأخلاقية والمعرفية" ،إنها تسعى إلى تفكيك العلاقة الجدلية بين العقل البشري والذكاء الآلي، محذرة من مغبة اختزال الإنسان في مجرد "بيانات رقمية" أو تحويل العقل إلى "أداة حسابية" فاقدة للمعنى والقيمة.

مشكلة البحث:

تتمثل المشكلة الرئيسية لهذا البحث في محاولة فهم طبيعة التفاعل بين الذكاء البشري والاصطناعي من منظور نقدي؛ فبينما يروج الخطاب التقني للذكاء الاصطناعي كبديل أو متفوق على العقل البشري، تطرح الفلسفة النقدية تساؤلاً جوهرياً: هل يمكن للآلة أن تتجاوز حدود "المحاكاة الصورية" لتصل إلى مستوى "الفهم السياقي والأخلاقي"؟ وكيف يمكن حماية الذات الإنسانية من الاستلاب التقني في عصر الذكاء الفائق؟

أهداف البحث:

1. التمييز الإبستمولوجي بين أنماط التفكير البشري والعمليات الحسابية الآلية.
2. رصد الانعكاسات الأخلاقية والاجتماعية لدمج الذكاء الاصطناعي في الفضاء الإنساني.
3. تقديم رؤية فلسفية تضمن "أنسنة التقنية" وجعلها امتداداً للعقل لا نقيضاً له.

منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج التحليلي النقدي، من خلال استعراض الأطروحات الفلسفية الكلاسيكية والمعاصرة (مثل أطروحات مدرسة فرانكفورت وفلسفة العقل)، وإسقاطها على واقع التكنولوجيا الحديثة لاستخلاص رؤية تفسيرية شاملة.

الإطار النظري

أولا: نقد العقل الآلي (الإبستيمولوجيا الرقمية)

لم تعد خطورة العقل الآلي في عصر الإبستمولوجيا الرقمية مقتصرة على أتمتة الجسد أو أدوات الإنتاج، بل تجاوزت ذلك إلى أتمتة العقل والوعي عبر خصخصة وإنتاج المعرفة خوارزمياً ، تفرض الرأسمالية الرقمية اليوم عبر 'العقل الآلي' نموذجاً إبستمولوجياً يقوم على هندسة السلوك واختزال الحقيقة في صيغ إحصائية ونماذج تنبؤية مشفرة، مما أدى إلى غياب 'الذات المفكرة' وحلول 'الوكالة الخوارزمية' مكانها(1).

هذا النمط المعرفي الرقمي يمارس نوعاً من الوضعية الجديدة ؛ حيث تُستبعد الأسئلة الغائية والوجودية وتُعزل الظواهر الإنسانية عن سياقها التاريخي والاجتماعي لتحويلها إلى مجرد بيانات كمية قابلة للرسم والتوجيه(2).

إن 'إنسان البُعد الواحد' الذي حذر منه ماركوز قد تحول في ظل الإبستمولوجيا الرقمية إلى 'مستخدم أحادي البُعد'؛ يتم تلقيمه بالمعرفة وتوجيه رغباته وعزله داخل 'غرف الصدى الرقمية' التي تُلغي التفكير النقدي وتصنع إجماعاً طوعياً زائفاً لخدمة الشركات التكنولوجية الكبرى ، وبناءً على ذلك يصبح نقد العقل الآلي ضرورة لاستعادة استقلال الذات المعرفية والأخلاقية، والتحذير من تحول التقنية الرقمية من أداة لخدمة المعرفة البشرية إلى سلطة مطلقة تحتكر صياغة مفهوم 'الحقيقة(3)

من منظور الفلسفة النقدية، لا يعد الذكاء الاصطناعي "عقلاً" بالمعنى الكانطي، بل هو "نظام معالجة صورية" يفتقر إلى شروط إمكان المعرفة.

سنتناول في هذا السياق كيف يدرك الذكاء الاصطناعي العالم مقارنة بالعقل البشري:

1-ثنائية البيانات والمعنى :

الآلة تعالج "البيانات" كرموز رياضية صماء، بينما الإنسان يحولها إلى "معلومات" ذات سياق ، ففي الفلسفة الكانطية تُعد المعرفة هي حاصل تفاعل بين "مادة" (الحواس) و"صورة" (قوالب العقل).

أما في الذكاء الاصطناعي تقتصر العملية على استقبال "مادة" رقمية (بيانات ضخمة) ومعالجتها عبر نماذج رياضية فالآلة ترى "البيانات" كأرقام، لكنها لا تملك "المقولات" (مثل السببية أو الجوهر) لفهم ما تمثله هذه الأرقام(4).

ففي العقل البشـري نحن لا نرى البيانات كمجرد أرقام، بل ندركها فوراً كأشـياء لها معنى وسـياق بفضـل البنية القبلية لعقولنا.

من هنا يتضح أن العقل البشري يتميز بـــ "القصدية" أي أن تفكيرنا دائماً يكون "حول" شيء ما وله غاية، بينما الذكاء الاصطناعي يفتقر للمعنى؛ هو يعالج الرموز بناءً على شكلها لا على معناها .

كما أن المعرفة البشـرية تعتمد جزئياً على "الحدس" الذي وصـفه هنري برجسـون كقوة لا يمكن التنبؤ بها، بينما الآلة محكومة بـ "المنطق الرتيب" الذي لا يقبل القفزات المعرفية المفاجئة.

2-الزمان والمكان : بالنسـبة لكانط، هما قالبان في عقلنا لنفهم العالم؛ فهو يرى أن الزمان والمكان هما "صـورتان للحدس الحسي" لا يمكننا إدراك أي شيء خارجهما[5].

أما الذكاء الاصـطناعي، فالزمن لديه هو "تسـلسـل عمليات" والمكان هو "إحداثيات"، مما يجعله يفتقد للتجربة الحية ، أي أنه يعالج الزمن كـ "سلسلة بيانات والمكان كـ "مصفوفات هذا الإدراك هو إدراك "كمي" وليس "كيفي."[6]

ونتيجة لذلك يتكون ما نسـميه بالفجوة المعرفية لأن الآلة تفتقر إلى "التجربة المعيشـة"؛ فهي لا تشـعر بمرور الزمن أو ثقل المكان، مما يجعل تفاعلها مع العالم تفاعلاً جافاً يعتمد على المحاكاة لا الاستيعاب مما يدل على أن التنبأ بالمستقبل آليا يكون بناءًا على تكرار الماضـي (النمذجة)، بينما العقل البشـري يمكنه ابتكار حلول "خارج الصـندوق" لا توجد في بياناته السابقة.

3- حدود المعرفة الرقمية :

تؤكد الفلسفة النقدية أننا نعرف "الظواهر" فقط، أما "الشيء في ذاته" فيبقى ممتنعاً.

الـذكـاء الاصـــطنـاعي محبوس مرتين: مرة في حـدود "الظواهر" (البيـانـات)، ومرة أخرى في حـدود "النمـذجـة" (الخوارزمية)[7] .

فالتفاعل بين الإنســـان والآلة هنا هو تفاعل بين "وعي يحاول الفهم" و"آلة تحاول النمذجة"، المعرفة الناتجة عن هذا التفاعل يجب أن تظل تحت رقابة العقل البشري لأن الآلة، مهما بلغت دقتها، لا تملك "وعياً نقدياً" بذاتها أو بما تنتجه.

من هنا يمكننا القول أن الإشـكالية المعرفية الجوهرية تكمن في التفاعل بين الذكاءين البشـري والاصـطناعي في مفهوم 'القصـدية'، فوفقاً للطرح الفلسـفي الذي طوره هوسـرل، يتميز الوعي البشـري بأنه دائماً 'وعيٌ بشــيء ما'؛ أي أنه يمتلك توجهاً قصديًا ومنحى دلاليًا يربط الرمز بالمعنى والمعاناة والتجربة الحية ، في المقابل، يظل الذكاء الاصطناعي محبوساً في إطار 'الغرفة الصينية' (حسب تعبير جون سيرل)، حيث يعالج الرموز بناءً على خصائصها الصورية والرياضية دون أي إدراك لمحتواها الدلالي ، إن هذا التمايز يعني أن المعرفة البشـــرية تظل 'معرفة اســـتيعابية' قادرة على إنتاج المعنى وتجاوز البيانات، بينما تظل المعرفة الآلية 'معرفة إحصـــائية' تعيد تدوير الأنماط دون أن تعيها، مما يجعل التفاعل بينهما تفاعلاً بين وعيٍ يبحث عن الحقيقة وآلة تبحث عن الاحتمال الأرجح".

ثانيا : التفاعل بين الذاتي والآلي

لم يقف نقد مدرســـة فرانكفورت للتكنولوجيا عند حدود اســـتخدام الآلة كأداة إنتاج، بل غاص في عمق التفاعل البنيوي بين 'الذاتي' (الإنسـاني) و'الآلي' (التقني)، كاشـفاً عن سـلب الآلة لخصـوصـية الذات وإخضـاعها لمنطقها الخاص ففي ظل ســـيطرة العقل الأداتي، لم يعد الآلي مجرد امتداد ليد الإنســـان، بل تراجع 'الذاتي' ليتكيف طوعاً مع إيقاع الآلة وقوانينها الكمية؛ بمعنى أن التفاعل الحديث مع التقنية يفرض على الوعي الإنســـاني نمطاً من التجريد الرياضـــي يُفرغ الذات من عفويتها وخيالها النقدي، ويحول السلوك البشري إلى ردود أفعال آلية ومبرمجة سلفاً[8] .

هذا التماهي بين الإنسـان والآلة بلغ ذروته مع أطروحة هربرت ماركوز حول 'العقلانية التكنولوجية'، حيث جادل بأن الآلة في المجتمع الصـناعي المتقدم تحولت من وسيلة لتحرير الإنسان من عناء العمل إلى أداة لإنتاج وعيه وتوجيه رغباته [9] .

إن التفاعل بين الذاتي والآلي لم يعد تفاعلاً بين صـانع ومصـنوع، بل غدا عملية "تشـيؤ" مسـتمرة، يكتسـب فيها الآلي صـفة الحيوية والسيادة، بينما تفقد الذات فاعليتها الحرة وتتحول إلى ترس صـغير داخل جهاز بيروقراطي وتقني ضـخم لا يملك الفرد القدرة على الفكاك منه أو نقد غاياته [10].

وفي هذا السياق يظهر تأثير التقنية على الإرادة البشرية فقد حذّرت الفلسفة النقدية من "القصور الذاتي"؛ فخوارزميات الترشيح (مثل التي تختار لنا ما نشاهد أو نقرأ) تجعلنا نتخلى عن ممارسة "قوة الحكم" الشخصية.

ففي مقالته الشـهيرة "ما التنوير؟"، عرّف كانط التنوير بأنه خروج الإنسـان من حالة "القصـور" التي تسـبب فيها لنفسـه، وهي حالة عدم القدرة على اســتخدام عقله إلا بتوجيه من الآخرين. اليوم، يطرح الذكاء الاصـــطناعي تحدياً جديداً لمفهوم الاستقلال الذاتي من خلال ثلاثة محاور[11]:

1-الوصاية الرقمية وقوة الحكم (الخوارزمية كبديل للعقل)

نحن نعيش في عصـــر "الأنظمة الخبيرة" التي تقترح علينا ما نشـــتري، وما نشـــاهد، وحتى من نصـــادق حيث يشـــهد العصـــر الرقمي الراهن تحولاً جذرياً في طبيعة العلاقة بين الإنســـان والآلة، حيث تجاوزت الأنظمة الخوارزمية دورها التقليدي كأدوات مســـاعدة لتدخل عمق العمليات الإدراكية والتحليلية التي ظلت حكراً على الوعي الإنســـاني، وتطرح هذه الطفرة التكنولوجية، المدفوعة بنماذج الذكاء الاصـطناعي التوليدي والتعلم الآلي، إشـكالية معرفية وفلسـفية معقدة تتمحور

حول مدى إمكانية تمكين "الخوارزمية" كبديل وظيفي أو معرفي لـــ "العقل البشري" ، ومع تسارع أتمتة عمليات اتخاذ القرار في المجالات الحيوية كالطب، والسياسة، والاقتصاد، تبرز حاجة ملحة لتقييم حدود هذا الإحلال؛ فبينما تتفوق الخوارزميات في معالجة البيانات الضخمة واكتشاف الأنماط الرياضية بسرعة فائقة، يظل العقل البشري متفرداً بأبعاد الوعي الذاتي، والمرونة الإبداعية، والتقييم الأخلاقي المستند إلى السياق الاجتماعي والوجداني[12] .

لهذا نحن نسعى من خلال هذا البحث إلى تفكيك هذه الجدلية عبر رصد الفجوات البنيوية بين المنطق الإجرائي للآلة والتفكير الشمولي للإنسان في محاولةً للإجابة عن السؤال المحوري: هل تقودنا الخوارزميات نحو تعزيز القدرات البشرية أم نحو صياغة تبعية معرفية تؤدي إلى ضمور العقل؟

عندما نفوض الخوارزميات لاتخاذ قراراتنا اليومية، نحن ندخل في حالة "قصــور رقمي" جديد. بدلاً من أن يمارس الإنسان "قوة الحكم" الخاصة به، فإنه ينقاد لنتائج محددة مسبقاً بناءً على ميوله الماضية.

فالخوارزميات تعزز ما نعرفه بالفعل ولا تعرضنا لما هو مختلف، مما يسلبنا "الحرية في التعرض للبدائل"، وهو شرط أساسي لتشكل العقل النقدي[13].

من هنا يقف الفكر الإنساني المعاصر أمام منعطف إبستمولوجي غير مسبوق، أثارته الطفرة المتسارعة في بيئة الذكاء الاصطناعي والأنظمة الخوارزمية، والتي تجاوزت حدود "المكننة الفيزيائية" لتستهدف محاكاة "البنية الإدراكية" للإنسان. تضـــعنا هذه التحولات أمام إشـــكالية فلســـفية وجوهرية تتعلق بطبيعة المعرفة والوعي: هل يمكن للنمذجة الرياضـــية والإجرائية التي تقوم عليها الخوارزميات أن تشكل بديلاً حقيقياً للعقل البشري، أم أنها مجرد محاكاة صورية تفتقر لجوهر الإدراك؟

إن محاولة إحلال الخوارزمية محل العقل تثير نقاشاً فلسفياً حاداً يعيد قراءة أطروحات "فلسفة العقل" ومسألة "الوعي الذاتي"؛ فبينما تختزل الأنظمة الرقمية الفكر الإنســاني في عمليات حســابية لإنتاج المعرفة يظل العقل البشـــري متميزاً بقدرته على توليد "المعنى" وفهم السياق الدلالي والأخلاقي[14] .

ومن خلال ما ســبق ســعينا إلى ســبر أغوار هذه الفجوة المعرفية بين "العقلانية الأداتية" للآلة و"الوعي الشـــمولي" للإنســان، ومناقشـــة التداعيات الفلســفية المترتبة على تفويض العمليات الذهنية الكبرى للآلة، وما قد يتبع ذلك من إعادة تعريف لمفهوم "الذكاء" نفسه.

2- الاستقلال الذاتي مقابل التنميط:

يُعد هذا المحور أحد أعمق المحاور الفلسفية والمعرفية في دراسة أثر الخوارزميات على العقل البشري، حيث يمس جوهر الحرية الإنسانية والوعي النقدي.

إن الاستقلال الذاتي يعني قدرة الذات على تشريع قوانينها الخاصة وفقاً لــ كانط، بينما التنميط هو سجن الذات في ماهية مسبقة الصنع تلغي حريتها وفقاً لـ سارتر[15] .

حيث يمثل التقابل بين الاستقلال الذاتي والتنميط إشكالية فلسفية تتمحور حول الصراع بين حرية الذات والضرورة الاجتماعية؛ فبينما يشير الاستقلال الذاتي إلى سيادة الفرد وقدرته على تشريع قيم وخيارات تخص وجوده الحر، يبرز التنميط كآلية اختزالية تسلب الفرد تميزه لتسجنه في ماهية مسبقة الصنع وأحكام تعميمية جامدة ، وبذلك يتجاوز هذا التنازع كونه مجرد اختلاف مفاهيمي، ليصبح مواجهة حقيقية بين نزوع الإنسان نحو الوعي النقدي والأصالة، وبين كسل معرفي واجتماعي يفرض التبعية ويلغي التعددية[16].

ومن هذا المنطلق، نسعى من خلال هذا الطرح إلى تفكيك هذا التناقض الفلسفي، واستكشاف مدى قدرة الفرد على حماية استقلاله الوجودي والأخلاقي في مواجهة قوالب التنميط السائدة.

تحول الفلسفة النقدية انتباهنا إلى أن الحرية تقتضي ألا نكون مجرد "ردود فعل" لبياناتنا فالذكاء الاصطناعي يتعامل مع الإنسان كـــ "مجموعة بيانات" قابلة للتنبؤ،هذا التنميط ينفي "فرادة الذات" ويحولها إلى كائن آلي يمكن التحكم في سلوكه المستقبلي عبر الحوافز الرقمية[17].

أما الفعل البشري الحر هو الذي يصدر عن "إرادة" واعية، بينما الفعل الذي توجهه الخوارزمية هو "استجابة مبرمجة" لبيئة رقمية مصممة بدقة لتوجيه الخيارات.

تتموضــع قدرة الفرد على حماية وجوده ضــد التنميط في المســافة الفاصــلة بين "الاســتقلال الذاتي الأخلاقي "بالمفهوم الكانطي و"المقاومة الواعية للتشــيء الرأســمالي" (وفق مدرســة فرانكفورت)،إن التنميط في العصــر الحديث ليس مجرد عادات اجتماعية، بل هو آلية منظمة يقودها "العقل الأداتي" لنمذجة الوعي البشــري وتحويل الإنســان من "غاية في ذاته" إلى "أداة" داخل ماكينة الإنتاج والاستهلاك[18].

كما أن قدرة الفرد على حماية وجوده ضد التنميط تتوقف على مدى مستوى وعيه الذاتي وصلابته النفسية، وهي قدرة "نسبية ومتغيرة" تحكمها قوة الفرد مقابل ضغط المجتمع ، التنميط يسعى إلى نمذجة السلوك واختزال الهوية، بينما حماية الوجود هي عملية مقاومة واعية للحفاظ على الفردانية.

فقدرة الفرد ليست مطلقة؛ فهي معركة مستمرة بين رغبة المجتمع في التنميط (لضمان السيطرة والتوقع) ورغبة الفرد في التحرر (لإثبات الوجود والخصوصية) ، تزداد هذه القدرة كلما ارتفع وعي الفرد وقل اعتماده على القبول الاجتماعي الأعمى.

3- تقنية المراقبة وتقييد الفضاء الأخلاقي

يُشكل التقدم المتسارع لتقنيات المراقبة الرقمية في العصر الراهن تحولاً جذرياً لا يقتصر على الأبعاد التقنية أو السيادية فحسب، بل يمتد ليعيد هندسة "الفضاء الأخلاقي للمجتمعات المعاصرة ، أي أن الانتقال من نمط المراقبة الكلاسيكي القائم على الحضور المادي، إلى نمط المراقبة الخوارزمية الكلية والبيانات الضخمة، قد نقل أداة الضبط من "خارج" الذات الإنسانية إلى "داخلها."[19]

من هذا المنطلق، لم تعد المراقبة مجرد آلية لحفظ الأمن أو تنظيم المجال العام، بل تحولت إلى سلطة بنيوية قادرة على تقييد الفضاء الأخلاقي؛ وذلك عبر استبدال "الاختيار الحر" النابع من الإرادة الواعية بـ "سلوك أداتي" تمليه حسابات الخوف من الرصد الرقمي أو الرغبة في التوافق مع المعايير الخوارزمية إن هذا التموضع الجديد للتكنولوجيا يضع الفلسفة الأخلاقية المعاصرة أمام مأزق وجودي يتعلق بتآكل الاستقلالية الفردية، وتحول القيمة الأخلاقية الفعلية إلى مجرد "مؤشرات أداء" قابلة للقياس الرقمي، مما يهدد بإنتاج كينونة بشرية ممتثلة آلياً ومفرغة من عفوية الاختيار الأخلاقي[20].

يرتبط مفهوم الحرية بالقدرة على الفعل دون رقابة دائمة ،واستناداً لنقد ميشيل فوكو (المتأثر بالنقدية)، فإن الذكاء الاصطناعي يحول العالم إلى سجن مفتوح للمراقبة، عندما يعرف "الجهاز" كل شيء عنك، فإن سلوكك يتغير بالضرورة ليصبح "أكثر امتثالاً" للمعايير الاجتماعية أو الخوارزمية، مما يقتل التلقائية والتمرد الإبداعي[21].

فالحرية ترتبط بالمسؤولية، إذا اتخذت الآلة قراراً خاطئاً (في الطب أو القضاء مثلاً)، فإن "غياب الفاعل الأخلاقي" يؤدي إلى ضياع المسؤولية، وهو ما تسميه الفلسفة النقدية بـ "اللا مسؤولية المنظمة."[22]

أما الخوارزميات تقوم بعملية "تعديل السلوك" دون إكراه مادي، وهو ما يسميه البعض "العبودية الطوعية للتقنية" ، الإنسان يظن أنه يختار، بينما هو يسير في "مسارات مرسومة" مسبقاً من قِبل مهندسي البيانات.

لهذا فإن الحرية تتطلب القدرة على أن نكون "غير قابلين للتنبؤ"؛ فإذا استطاعت الآلة التنبؤ بكل أفعالنا، سقطت قيمة "الإرادة الحرة."[23]

من هنا يتضح لنا أن التهديد الذي يفرضه الذكاء الاصطناعي على الاستقلال الذاتي لا يأتي عبر القسر المادي، بل عبر ما يمكن تسميته بـ 'الهندسة الاجتماعية الناعمة' ، فمن خلال خوارزميات التوصية والترشيح، يتم وضع الإنسان في 'فقاعة معلوماتية' تعيد إنتاج انحيازاته وتوجه خياراته بشكل غير محسوس، وهو ما يمثل حالة من 'القصور الذاتي الرقمي'. فالحرية في المنظور النقدي ليست مجرد القدرة على الاختيار، بل هي القدرة على 'الاختيار الواعي' خارج إطار التنبؤ الإحصائي. وعندما تستطيع الخوارزمية التنبؤ بسلوك الفرد بدقة عالية، فإنها تسلبه 'فرادة الفعل الإنساني' وتحوله إلى كائن نمطي. لذا، فإن استعادة الحرية في العصر الرقمي تقتضي الحق في أن نكون 'غير قابلين للنمذجة'، والحق في كسر المسارات التي ترسمها لنا البيانات الضخمة".

ثالثا : نقد العقل الأداتي من منظور مدرسة فرانكفورت

إن تفكيك العقل الأداتي من منظور مدرسة فرانكفورت لم يقف عند حدود نقد السيطرة التقنية، بل امتد ليعري الأزمة الأخلاقية (الإيتيقية) الشاملة التي خلّفتها الحداثة؛ فحين تحولت العقلانية إلى مجرد حسابات إجرائية، أُفرغت الأخلاق من مضمونها المعياري، وتحولت المسؤولية الإنسانية إلى مجرد التزام وظيفي أو بيروقراطي يفتقر إلى الحس النقدي[24] ولمواجهة هذا الانسداد الإيتيقي، سعى الجيل الثاني والثالث للمدرسة إلى إعادة بناء الفلسفة الأخلاقية؛ حيث أسس يورغن هابرماس ما يُعرف بـ 'إيتيقا النقاش " مبرهناً على أن المعايير الأخلاقية والمسؤولية الجماعية لا تُفرض فوقياً ولا تُحسب أداتياً، بل تُصاغ عبر توافق حر ونقاش عمومي مفتوح بين ذوات متساوية تلتزم بالوصول إلى تفاهم مشترك[25]. وفي السياق ذاته، وسّع أكسل هونيث هذا الأفق الإيتيقي بربط المسؤولية الأخلاقية بمفهوم 'الاعتراف المتبادل معتبراً أن العدالة والمسؤولية تتجليان في رصد أشكال الازدراء والتشيؤ الاجتماعي، والعمل على بناء علاقات تضمن التقدير العاطفي، القانوني، والاجتماعي لكل فرد[26]. وبذلك، تتحول الإيتيقا في النظرية النقدية من مجرد تنظير مجرد إلى ممارسة تواصلية ونقدية تهدف إلى استعادة إنسانية الإنسان ومسؤوليته تجاه ذاته وتجاه الآخرين".

من هنا فإن هذا القسم ينظر إلى الجانب السياسي والاجتماعي للذكاء الاصطناعي حيث ترى مدرسة فرانكفورت أن العقل في العصر الحديث انحرف عن مساره التحرري ليصبح "عقلاً أداتياً " أي عقلاً يهتم فقط بكفاءة الوسائل وسيطرة التقنية ، متجاهلاً عدالة الغايات، ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي :

1- سيطرة "الكفاءة" على "المعنى"

في سياق الذكاء الاصطناعي، يتم اختزال العقل في وظيفة واحدة :الاستمثال .

أي يتم تحويل القضايا الإنسانية المعقدة (مثل العدالة، السعادة، الحب) إلى مشكلات رياضية قابلة للحل بالخوارزميات.

حذّر أدو رنو وهوركهايمر في كتاب "جدل التنوير" من أن العقل الذي يسعى للسيطرة على الطبيعة عبر التقنية، ينتهي به الأمر بالسيطرة على الإنسان نفسه. الذكاء الاصطناعي هنا هو "الأداة القصوى" لهذه السيطرة، حيث يُقاس كل شيء بمدى كفاءته الإنتاجية لا بقيمته الأخلاقية[27].

ومما تقدّم يمكن القول إن سيطرة الكفاءة على المعنى في العصر الرقمي تُمثّل اغتراباً راديكالياً للذات الإنسانية؛ إذ يجد الإنسان نفسه محاصراً داخل "قفص خوارزمي حديدي "يملك إجابات فائقة الدقة والسرعة عن كل شيء، لكنه يعجز عن تقديم مبرر وجودي واحد لقيمة أي شيء. إنها سيادة "الآلية" التي لا تمنع الإنسان من التفكير، بل تجعله يفكّر فقط في حدود ما هو "متاح تقنياً وعملياً"، مما يُنتج نمطاً وجودياً مسطحاً و"ذي بعد واحد"، يفتقر إلى العمق الذي يتطلبه توليد المعنى والمقاومة الفكرية.

2- الإنسان ذو البعد الواحد في العصر الرقمي

استناداً لأطروحة هيربرت ماركوزه:

إنّ الذكاء الاصطناعي يخلق نظاماً يمتص التناقضات؛ فالتطبيقات والخوارزميات تقدم لنا رفاهية تقنية تجعلنا "متكيفين" مع النظام القائم بدلاً من نقده.

عندما تشكل الخوارزمية وعينا، نفقد "البعد الثاني" للعقل، وهو البعد النقدي القادر على تخيل عالم مختلف. يصبح الإنسان "ذا بعد واحد"؛ مستهلكاً سلبياً للمخرجات الخوارزمية[28].

ومما سبق نستطيع القول إن الإنسان ذو البعد الواحد في العصر الرقمي هو الكائن الذي فقد "المسافة النقدية "بين ذاته وبين الواقع؛ إذ نجحت التقنية الرقمية في دمج الفرد داخل النظام دمجاً كلياً حتى تلاشت الرغبة في التغيير. لم تعد الهيمنة تمارس سلطتها بالمنع أو القمع، بل عبر "الإغراق المعرفي والترفيهي المستمر"، مما يُجهض أي إمكانية للتحرر الفكري ويُكرّس شمولية المجتمع التقني المعاصر.

3- العلم والأيديولوجيا من منظور الفلسفة النقدية:

تنطلق الفلسفة النقدية المعاصرة (امتداداً من ماركس، مروراً بمدرسة فرانكفورت، وصولاً إلى فلاسفة ما بعد الحداثة) من تفكيك المقولة الشائعة بأن "العلم معرفة حيادية وموضوعية خالصة، بينما الأيديولوجيا وعي زائف وموجّه"[29] ترى الفلسفة النقدية أن العلم والتقنية في العصر الحديث قد تحولا في حد ذاتهما إلى الأيديولوجيا الأكثر هيمنة وتضليلاً، لكونهما يمارسان سلطتهما تحت قناع "الحياد الإبستمولوجي" والموضوعية الصارمة.

في عصر الأنوار، كان العلم يُمثّل القوة التحررية التي تهدف إلى تخليص العقل البشري من الأساطير والأيديولوجيات الميتافيزيقية. لكن الفلسفة النقدية (لا سيما في كتاب *جدل التنوير* لأدورنو وهوركهايمر) تكشف عن ارتداد هذا الطموح؛ حيث تحول العلم إلى أسطورة جديدة.

إن الأيديولوجيات الكلاسيكية (كالسياسية أو الدينية) كانت مكشوفة ويمكن نقدها ومواجهتها فكرياً. أما أيديولوجيا العلم والتقنية، فتكمن خطورتها في أنها تُخفي طابعها السياسي خلف مظهر "الحقائق الرياضية والتقنية المطلقة."

لا يمكن فصل العلم عن الأيديولوجيا عند ربطه بـ بُنى السلطة .يُثبت الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو أن المعرفة العلمية ليست منفصلة عن السلطة، بل هي منتجة لها (ارتباط المعرفة/السلطة) ففي العصر الرقمي، تتجلى هذه الجدلية في علوم البيانات والذكاء الاصطناعي.

هذه العلوم ليست حيادية؛ فالخوارزميات تُصمم بناءً على انحيازات أيديولوجية واقتصادية مسبقة تهدف إلى التنبؤ بالسلوك البشري وتوجيهه لخدمة "رأسمالية المراقبة". العلم هنا يتحول إلى تقنية أيديولوجية لإعادة إنتاج أدوات السيطرة الناعمة[30].

لهذا فإن العلم من منظور فلسفي نقدي لا ينفصل عن الأيديولوجيا، بل هو حاضنتها الحديثة، فالأيديولوجيا المعاصرة لم تعد منظومة من الأفكار والمبادئ، بل أصبحت "ممارسة علمية وتقنية يومية" تُقنع الإنسان بأن نمط حياته الرقمي والاستهلاكي الحالي هو النمط الوحيد الممكن والعقلاني. وتفكيك هذه الأيديولوجيا لا يتطلب رفض العلم، بل "أنسنة العلم" وإعادة إخضاعه للمساءلة الأخلاقية والفلسفية، واستعادة التفكير النقدي الذي يميّز بين "التقدم التقني" و"التحرر الإنساني."

4- الاغتراب:

يصل الاغتراب إلى ذروته عندما يشعر الإنسان أن العالم الذي صنعه (الذكاء الاصطناعي) أصبح غريباً عنه ومسيطراً عليه ، حيث يغترب المبرمج والمستخدم معاً؛ فالأول لا يدرك مآلات "الصندوق الأسود والثاني يخضع لسلطة لا يفهم آليات عملها ، ففي سياق نقد العقل الأداتي، يتحول الذكاء الاصطناعي إلى 'صنم تقني يُنظر إليه كقوة مستقلة ومقدسة تمتلك الحقيقة المطلقة، بينما هو في الأصل نتاج عمل بشري محمل بالانحيازات الطبقية والأيديولوجية ، تؤكد مدرسة فرانكفورت أن خطر التقنية يكمن في 'تسطيح الوعي'؛ حيث يتم استبدال اللغة الإنسانية الثرية بالتناقضات والمشاعر بلغة خوارزمية احتمالية باردة[31].

إن الاعتماد المتزايد على النماذج اللغوية الكبيرة قد يؤدي إلى نمطية التفكير واغتراب الإنسان عن لغته الخاصة، بحيث يصبح التعبير البشري مجرد محاكاة للمخرجات الآلية، مما يفرغ التواصل الإنساني من بعده النقدي والتحرري ويحوله إلى مجرد تبادل وظيفي للمعلومات.

لم يعد العقل في سياق الحداثة الغربية أداة لإنتاج القيم الأخلاقية الكبرى أو وسيلة لتحقيق التحرر الإنساني، بل جرى اختزاله كلياً في بعده الإجرائي الأداتي الذي يعنى بحساب الوسائل والكفاءة التقنية دون التساؤل عن عقلانية الغايات ذاتها[32] هذا التحول البنيوي في وظيفة الفكر أدى إلى تحويل الطبيعة والإنسان معاً إلى مجرد أشياء قابلة للقياس الكمي والسيطرة البيروقراطية ونتيجة لذلك، لم تعد الهيمنة في المجتمعات الصناعية المتقدمة تحتاج إلى أدوات قمع قهرية فجة، بل أصبحت تُمارس بطرق ناعمة وعبر قنوات نظامية تلبي احتياجات مادية زائفة، مما أفرغ الفرد من طاقته النقدية وحوله إلى كائن أحادي البُعد يتكيف طوعاً مع الاغتراب المستوعب[33]

رابعا : نحو "إيتيقا" نقدية

تُمثّل الدعوة إلى إيتيقا نقدية الأفق الفلسفي الحتمي لتجاوز أزمات العصر الرقمي، وسيطرة الكفاءة على المعنى، وتحول العلم إلى أيديولوجيا ، فإذا كانت الفلسفة النقدية قد نجحت في "تفكيك" آليات الهيمنة الخوارزمية، فإن الإيتيقا النقدية

هي المشروع البديل الذي يسعى إلى "إعادة البناء"؛ أي الانتقال من مجرد نقد الواقع إلى صياغة معايير أخلاقية تحررية تُعيد الاعتبار للإنسان بوصفه غاية لا وسيلة.

لا تكتفي الفلسفة النقدية بوصف الواقع، بل تسعى لتغييره لذا، فإن وضع "إيتيقا" للذكاء الاصطناعي لا يعني وضع قوانين تقنية فحسب، بل إعادة الاعتبار للقيم الإنسانية كمرجعية عليا.

يضع هذا المحور القواعد الأخلاقية للتفاعل بين الطرفين على النحو التالي:

1 .مبدأ "الإنسان غاية" في مواجهة "التسليع الرقمي"

يُمثّل المبدأ الكانطي الشهير "الإنسان غاية في ذاته وليس مجرد وسيلة الركيزة الأنطولوجية والأخلاقية الأهم التي تستند إليها الإيتيقا النقدية لمواجهة "التسليع الرقمي في بيئة رأسمالية المراقبة المعاصرة، تعرّض هذا المبدأ لانتهاك بنيوي غير مسبوق؛ حيث لم يعد الإنسان مستهلكاً للسلع فحسب، بل تحول هو ونشاطه الواعي وسلوكه اليومي إلى "السلعة الأساسية "التي تُباع وتُشترى في سوق التنبؤات السلوكية[34] .

تأتي الإيتيقا النقدية لتعيد صياغة الواجب الأخلاقي الكانطي في السياق الرقمي عبر ثلاث مواجهات أساسية:

- تؤكد الفلسفة النقدية أن كرامة الإنسان نابعة من كونه كائناً يمتلك وعياً وقصديّة وأبعاداً روحية وأخلاقية لا تقبل التسعير أو التكميم المادي مواجهة التسليع تعني رفض اختزال هويتنا الوجودية في "ملفات تعريفية أو خوارزميات كمية تُقاس بمعدلات التفاعل.
- إن التعامل مع الإنسان كـ"غاية" يقتضي احترام حريته في أن يكون متقلباً، غير متوقع، وخارجاً عن حسابات الآلة. التسليع الرقمي يسعى لتنميط السلوك البشري ليصبح طيّعاً وقابلاً للتنبؤ؛ بينما تدافع الإيتيقا النقدية عن "الحق في الغموض الوجودي" ورفض تنميط الوعي.
- المنصات الرقمية الحالية مصممة وفق اقتصاد الانتباه ، الذي يستغل الثغرات النفسية للأفراد لإبقائهم ملتصقين بالشاشات (تحويل الانتباه إلى سلعة). طرح الإنسان كغاية يعني تصميم تقنيات تحترم وقت الإنسان وتفكيره التأملي، بدلاً من تقنيات تستعبده وتستنزف قواه الإدراكية[35].

ومما سبق نجد أن معركة **"الإنسان غاية في مواجهة التسليع الرقمي "**هي المعركة الحاسمة لإنقاذ البشرية من التحول إلى مجرد "ترس" في آلة ذكاء اصطناعي عالمية فائقة الكفاءة ومجردة من المعنى. إن استعادة هذا المبدأ تعني إعلان العصيان الفلسفي ضد منطق السوق الرقمي، والتأكيد على أن قيمة الوجود البشري تكمن في حريته، وعمقه النقدي، وقدرته على رفض الواقع وصياغة غاياته الخاصة، وهي أبعاد عصيّة على أي خوارزمية.

2 - مسؤولية "الصندوق الأسود" (إشكالية الفاعل الأخلاقي)

تُمثّل إشكالية **"**مسؤولية الصندوق الأسود الذروة المعرفية والأخلاقية لمعضلة "الفاعل الأخلاقي في العصر الرقمي وعصر الذكاء الاصطناعي الفائق، في الفلسفة الأخلاقية الكلاسيكية، ترتبط المسؤولية ارتباطاً شرطياً بـ"الوعي" و"القصدية" و"الحرية."

لكن، عندما تتخذ أنظمة الذكاء الاصطناعي المعقدة (المبنية على التعلم العميق والشبكات العصبية الاصطناعية) قرارات مصيرية ومستقلة دون أن يمتلك مصمموها أو مستخدموها القدرة على معرفة كيف أو لماذا تم اتخاذ هذا القرار (بسبب تعقد العمليات الداخلية وغياب الشفافية؛ وهو ما يُعرف تقنياً بـ الإنتروبيا أو الصندوق الأسود(، فإننا نواجه ما يُطلق عليه في الفلسفة النقدية "فجوة المسؤولية[36].

يطرح الذكاء الاصطناعي معضلة: من المسؤول عن "الفعل" الذي تقوم به خوارزمية لا يفهم صانعها كيف وصلت لقرارها؟

ترفض الفلسفة النقدية مفهوم "استقلال الآلة" كذريعة للإعفاء من المسؤولية ، المسؤولية تظل "بشرية" وتتوزع بين المصمم، والممول، والمستخدم.

الشفافية الراديكالية :كشرط أخلاقي، يجب أن تكون الأنظمة الذكية "قابلة للتفسير" لا يجوز أخلاقياً الاعتماد على نظام يقرر مصير البشر (في السجن، العلاج، التوظيف) دون تقديم مسوغات منطقية يفهمها العقل البشري[37].

من هنا فإن إشكالية مسؤولية الصندوق الأسود ليست مجرد معضلة هندسية أو برمجية، بل هي أزمة أنطولوجية تمس جوهر الكينونة البشرية،فالإنسان ذو البعد الواحد في العصر الرقمي مهدد بالتنازل عن أثمن ما يملك—وهو حرية الإرادة وتحمل المسؤولية عن أفعاله—لصالح قفص حديدي افتراضي يُدار بواسطة آلات فائقة الذكاء وبلا وعي. والمقاومة الفلسفية هنا تقتضي نزع القداسة عن الصندوق الأسود وإخضاع "كفاءته الباردة" لمعايير "المعنى والإيتيقا الإنسانية."

3- العدالة الخوارزمية ونقد التحيز

تُمثّل إشكالية "العدالة الخوارزمية ونقد التحيز" أحد أهم الميادين التطبيقية للفلسفة النقدية المعاصرة وسوسيولوجيا التكنولوجيا ، ففي العصر الرقمي، لم تعد اللامساواة وأدوات الهيمنة تمارس عبر خطابات سياسية مكشوفة، بل أصبحت تُهندس وتُدمج داخل البنى البرمجية والرموز البرمجية للذكاء الاصطناعي .

تكمن الخطورة الفلسفية هنا في أن الخوارزميات تُسوّق دائماً بوصفها أدوات "محايدة، موضوعية، وفائقة الكفاءة"، في حين أنها في الواقع تقوم بـــ"تأبيد وتحصين التحيزات البشرية والتاريخية"عبر إكسابها شرعية رياضية باردة وعصية على المساءلة[38] .

الخوارزميات ليست محايدة؛ فهي مرآة للتحيزات الموجودة في المجتمعات التي أنتجت بياناتها، فالفلسفة النقدية تكشف أن الخوارزميات ليست كيانات بريئة تهبط من سماء المعرفة الخالصة، بل هي منتجات ثقافية واقتصادية محكومة بآليتين:

- **تلوّث البيانات التاريخية :** تتغذى خوارزميات التعلم الآلي على بيانات مستمدة من واقع مجتمعي مأزوم ومحكوم بتصنيفات عنصرية، طبقية، أو جندرية سابقة ، بالتالي، عندما تحلل الآلة هذه البيانات للتنبؤ بالمستقبل، فإنها لا تصنع "عدالة"، بل تقنن الممارسات التمييزية الماضية وتُعيد إنتاجها بكفاءة أعلى .
- **أيديولوجيا المطور :** يُدخل المبرمجون والمصممون (الذين ينتمون غالباً لطبقات وثقافات مهيمنة كشركات وادي السيليكون) قيمهم الخاصة وانحيازاتهم الضمنية حول ما هو "طبيعي" أو "كفء" أثناء صياغة الأكواد وتحديد الأهداف، مما يجعل الآلة أداة لخدمة رؤية أحادية للعالم [39].

تتطلب الفلسفة النقدية ممارسة "الشك الدائم" في نتائج الآلة. يجب مراجعة الخوارزميات باستمرار للتأكد من أنها لا تعيد إنتاج التمييز العرقي، أو الطبقي ، كما يجب ألا ينفرد "التقنيون" بوضع أخلاقيات الذكاء الاصطناعي؛ بل يجب إشراك الفلاسفة، الحقوقيين، والمجتمع المدني لضمان تمثيل القيم الإنسانية التعددية.

إن معركة "العدالة الخوارزمية "هي الوجه المعاصر للصراع ضد الاستلاب والتشيؤ الذي شخصته الفلسفة النقدية مبكراً. الإنسان ذو البعد الواحد في العصر الرقمي ليس فقط مستهلكاً مستلباً، بل هو أيضاً "ضحية مصنفة ومحكومة ومقصاة خوارزمياً" والمقاومة الفلسفية هنا تقتضي التأكيد على أن "العدالة" قيمة كيفية، أخلاقية، وإنسانية بامتياز (معنى)، ولا يمكن بأي حال من الأحوال إحالتها إلى معادلة حسابية تُحسب بمؤشرات الكفاءة والإنتاجية الاقتصادية.

4 - إيتيقا "الحيطة والحذر" (منظور هانز يوناس)

عند قراءة إيتيقا "الحيطة والحذر المستلهمة من هانس يوناس عبر المنظار المعرفي لـ "الفلسفة النقدية " لا سيما مدرسة فرانكفورت وأطروحات ما بعد الحداثة، فإنها تتحول من مجرد "نصيحة أخلاقية" أو رغبة في البقاء البيولوجي، إلى "أداة تفكيك سياسية وإبستمولوجية "ضد بنيات الهيمنة الرأسمالية والتقنية.

الفلسفة النقدية لا ترى الحذر كآلية خوف سلبي، بل بوصفه **"فعل ممانعة راديكالي "**يهدف إلى كشف زيف "أيديولوجيا التقدم المستمر" وتفكيك سلطة التكنوقراط الذين يديرون العصر الرقمي[40].

بالاستناد إلى الفكر النقدي المعاصر يمكن تلخيص الفكرة كما يلي :

- يجب تقييد تطوير تقنيات الذكاء الاصطناعي التي قد تشكل خطراً وجودياً على النوع البشري أو تؤدي إلى فقدان السيطرة الكاملة على القرار الإنساني.
- السيادة البشرية : القاعدة الذهبية هنا هي: "كلما زادت قدرة الآلة على الفعل، زادت حاجة الإنسان للرقابة النقدية."
- مبدأ الغائية : التأكيد على أن الذكاء الاصطناعي يجب أن يظل "وسيلة" وأن الإنسان هو "الغاية" دائماً (نقد تسليع البشر.
- العدالة والتحيز :نقد "الموضوعية الزائفة" للآلة؛ فالخوارزميات قد تعيد إنتاج العنصرية أو الطبقية الموجودة في بيانات الماضي.
- المسؤولية الأخلاقية :مناقشة الفجوة القانونية؛ إذا أخطأت الآلة، فمن يحاسب؟ التأكيد هنا على أن المسؤولية تظل "بشرية" ولا يمكن تفويضها لبرنامج[41].

تتطلب الإيتيقا النقدية الانتقال من 'أخلاقيات الشركات' إلى 'ديمقراطية التقنية'. فلا يمكن ترك صياغة القواعد الأخلاقية التي تحكم الذكاء الاصطناعي لمطوري البرمجيات وحدهم، بل يجب إخضاع 'الكود البرمجي' للمساءلة العمومية بوصفه قانوناً جديداً يدير الشأن العام. إن مبدأ 'الإشراف البشري الدائم ' ليس مجرد إجراء تقني، بل هو ضرورة أخلاقية تمنع تفويض 'القرار الأخلاقي' للآلة. فالآلة لا يمكنها أن 'تتحمل المسؤولية' لأنها لا تملك إرادة، والمسؤولية الأخلاقية هي عبء بشري بامتياز. وبناءً عليه، يجب أن تظل السيادة البشرية قائمة عبر ضمان حق الإنسان في الاعتراض على القرار الآلي وامتلاك القدرة على تعطيله متى ما تعارض مع كرامة الذات البشرية.[42]"

مما سبق يتضّح لنا أنّ إيتيقا "الحيطة والحذر" من منظور الفلسفة النقدية ليست ارتداداً نحو المحافظة أو معاداة التقدم ، بل هي "إيتيقا تحررية راديكالية "تعيد الاعتبار للإنسان كـــ "غاية في ذاته" في مواجهة شمولية الآلة. إنها الأداة التي تسمح لـــ الإنسان ذو البعد الواحد باستعادة بعده الثاني المفقود؛ بعد الرفض والممانعة والتساؤل. الحذر النقدي هو الضمانة الفلسفية بأننا لن نضحي بـ "معنى الوجود البشري وحريته" على مذبح "الكفاءة التقنية والاستهلاك الرقمي البارد .

خاتمة

تأسيساً على ما تقدّم من تتبع إبستمولوجي وسوسيولوجي، تخلص هذه الدراسة إلى أن إشكالية "الإنسان ذو البعد الواحد في العصر الرقمي" ليست مجرد أزمة تقنية عابرة، بل هي انعكاس لبنيوية طغيان العقلانية الأداتية التي أحلت "الكفاءة الخوارزمية الباردة" محل "المعنى الوجودي والقيمي البشري" لقد كشفت الدراسة، عبر أدوات الفلسفة النقدية، أن الذكاء

الاصـــطناعي في ســياق رأســمالية المراقبة المعاصــرة لم يعُد مجرد أداة محايدة لخدمة الوعي، بل تحوّل إلى أيديولوجيا مهيمنة تُمارس سلطتها الناعمة عبر خوارزميات "الصـندوق الأسـود" ونظم "التحيز الرقمي"هذه الأنظمة لا تكتفي بإنتاج المعرفة، بل تعيد هندسة السلوك البشري وتشييئه، مما يؤدي إلى تفتيت المسؤولية الأخلاقية وضياع المسافة النقدية للذات الإنسانية.

إن القيمة المعرفية للفلســفة النقدية (امتداداً من تفكيك ماركوزه وهابرماس للعلم كأيديولوجيا، وصـــولاً إلى إيتيقا الحيطة والحذر عند هانس يوناس) لا تكمن في الدعوة إلى نكوصـــية تقنية أو رفض منجزات الحداثة الرقمية، بل تتبلور في تقديم "موجّه إيتيقا راديكالي" يعيد ترتيب العلاقة بين الذكاء البشــري والذكاء الاصـــطناعي. وبناءً على التحليلات البنيوية التي قدمها البحث، يمكن إجمال الاستنتاجات الفلسفية والتوصيات الاستشرافية للدراسة في النقاط المحورية التالية:

1- اسـتعادة تفوق الغاية على الوسـيلة: ضـرورة تفعيل المبدأ الكانطي "الإنسـان غاية في ذاته" داخل البيئة السـيبرانية؛ بحيث تُصـمّم الأنظمة الخوارزمية لخدمة التحرر البشـري وتوسـيع الفضـاء العام التداولي (العقلانية التواصـلية)، بدلاً من ارتهانها لاقتصاد الانتباه وتكميم الذات .

2- ديمقراطية الكود ونزع أسطورة الحياد: الإصرار على أن البرمجيات والأكواد هي نصوص سياسية وأيديولوجية غير منزهة عن الانحياز . وهذا يتطلب إخضـــاع خوارزميات الذكاء الاصـطناعي للمســاءلة المجتمعية الصـــارمة والشــفافية الإبستمولوجية (الذكاء الاصطناعي القابل للتفسير)، رافضين منطق التبرير التقني للصناديق السوداء.

3- تسـييس إيتيقا الحيطة والحذر: تحويل مبدأ المسـؤولية عند هانس يوناس من شـعور أخلاقي فردي إلى اسـتراتيجية قانونية ومؤسسـاتية دولية تفرض كوابح راديكالية على تطوير أي تكنولوجيا فائقة الذكاء تهدد بزعزعة القصدية الإنسانية أو إلغاء البعد النقدي والوجودي للنوع البشري.

4- الدفاع عن الهشـــاشـــة والخصـــوصـــية الكيفية: حماية "الحق في الخطأ، والتأمل، والغموض الوجودي" في مواجهة النمذجة الرياضـية والكمية؛ فالإنسـان لكي يظل كائناً حراً، يجب أن يبقى عصـيّاً على البرمجة الكاملة والتنبؤ الخوارزمي المستمر.

وفي المحصـلة النهائية، تؤكد الدراسـة أن التفاعل الآمن والتحرري بين الذكاء البشـري والاصطناعي رهينٌ بقدرتنا على الحفاظ على ؛ تلك المسـافة التي تسـمح للإنسـان الحديث بأن يمتلك الآلة الفائقة الكفاءة دون أن يتماهى معها أو يتنازل لها عن وعيه ومسـؤوليته الأخلاقية. إن مسـتقبل الإنسـانية في العصـر الرقمي لن تحدده كفاءة الآلات في معالجة البيانات، بل ستحدده شجاعة الفكر البشـري النقدي في صـياغة غاياته، والامتناع أخلاقياً عن استبدال "عمق المعنى" بـــــ"بريق الآلية والتلقي السلبي".

المراجع :

1- أندرو فينبيرج، النظرية النقدية للتكنولوجيا، ترجمة: إيهاب عبد الرحيم علي، غزة: المركز القومي للترجمة، 2014، ص 73 .

2-يورغن هابرماس، المعرفة والمصلحة، ترجمة: د. حسن صقر، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 2001، ص 120-125.

3-. شـوشـانا زوبوف، رأسـمالية المراقبة: النضـال من أجل مسـتقبل بشـري عند الحدود الجديدة للقوة، ترجمة: مجلة نقد وتنوير المعاصرة، 2021، ص 44.

4- إيمانويل كانط، ، نقد العقل الخالص، ترجمة: موســـى وهبة، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ط1، 1988 ، ص 96 .

5- إيمانويل كانط، ، نقد العقل العملي، ترجمة: غانم هنا، المنظمة العربية للترجمة ، 1788 ،ص 97 .

6-المرجع السابق ، ص 101 .

7- نديم منصوري، سوسيولوجيا الذكاء الاصطناعي، معهد المعارف الحكمية، بيروت ،ط 1 ، 2025 ، ص 52.

8- ماكس هوركهايمر وثيودور أدورنو، جدل التنوير: شـــذرات فلســفية، ترجمة: د. جورج كتورة، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2006، ص 41-45

9- هربرت ماركوز، الإنسـان ذو البعد الواحد، ترجمة: جورج طرابيشـي، بيروت: دار الآداب، الطبعة الرابعة، 1988، ص 53-57

10- د. عبد الغفار مكاوي، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2018، ص 89-92 .

11- كانط ، نقد ملكة الحكم ، ترجمة غانم هنا ، المنظمة العربية للترجمة بيروت ، ط1 ، 2009 ، ص 90 .

12 - نديم منصوري، "سوسيولوجيا الذكاء الاصطناعي"معهد المعارف الحكمية، بيروت، ط1، 2021، ص 86 .

13- منيرة العتيبي ، الفلسفة الأخلاقية في عصـر الخوارزميات: دراسـة نقدية لتآكل الاختيار الحر ، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث المركز القومي للبحوث، غزة ،المجلد 7، العدد 2، يونيو 2023، ص 89.

14- صـابر طير ، فلسـفة التكنولوجيا وأخلاقيات الذكاء الاصـطناعي وحوكمة النظم الرقمية ، مجلة الحوار المتمدن ملحق الأبحاث الفلسفية (8140)، مايو 2026 ، ص 60 .

15- عبود، رامي ، ديجيتولوجيا: الإنترنت.. اقتصـــاد المعرفة.. الثورة الصـــناعية الرابعة.. المســـتقبل ، ط 1 ، 2016 ، القاهرة، مصر: العربي للنشر والتوزيع ،ص 77 .

16- أيوب أبو دية، ، *فلسفة التكنولوجيا* ،ط 1 ، 2021 ، عمان، الأردن ، ص 97 .
17- ليلى الفاسي ، المقاربة النقدية لـ هيربرت ماركوزه وإشكالية الحرية في عصر الخوارزميات ، *مجلة نقد* وتنوير، المركز العربي للأبحاث والتحليل السياسي.، 2024 ، ص135 .
18- إد، دون، *مدخل إلى فلسفة التكنولوجيا* ، ترجمة فريال حسن خليفة، ط 2، 2006 ، القاهرة، مصر: مكتبة مدبولي، ص115.
19- سعد المشهداني، سلطة الكود وحوكمة الخوارزميات: مأزق الإرادة الإنسانية والقانون .*المجلة العربية للعلوم السياسية*، العدد 63، 2021 ، ص123-104
20-كيت، نهاية النسيان: التنشئة في العصر الرقمي، ترجمة عبد الرحمن أياس، ط 1، 2015 ، بيروت، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون ، ص 153
21- ميشيل فوكو ، المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن ،ترجمة :علي مقلد (دراسة وتحقيق: مطاع صفدي.(
بيروت: مركز الإنماء القومي، الطبعة الأولى، 1990 ،وأعادت طبعه "المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر" عام 2014، ص 211 .
22- المرجع السابق ، ص248 .
23- عبد الله الجسمي، "نقد العقل الأداتي: من التنوير إلى مدرسة فرانكفورت"منشورات ذات السلاسل، الكويت، 2012 ، ص 115
24- ماكس هوركهايمر، كسوف العقل: نقد العقل الأداتي، ترجمة: د. جورج جسور، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2006، ص 112.
25- يورغن هابرماس، الأخلاق والتواصل، ترجمة: د. أحمد عبد الحليم عطية، القاهرة: دار التنوير، 2011، ص 74.
26- أكسل هونيث، الصراع من أجل الاعتراف: القواعد الأخلاقية للمآسي الاجتماعية، ترجمة: د. دليلة حامد، بيروت: المكتبة الشرقية، 2015، ص 142.
27- ماكس هوركهايمر وثيودور أدورنو، جدل التنوير: شذرات فلسفية، ترجمة: د. جورج جسور،
ط1 ، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2006، ص 23
28- هربرت ماركوز، الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة: جورج طرابيشي، بيروت: دار الآداب، ط4 ، 1988، ص 61
29- عبد الله الجسمي، نقد العقل الأداتي: من التنوير إلى مدرسة فرانكفورت، منشورات ذات السلاسل، الكويت ، ص 140 .
30- علي حرب، العالم والكهف: الفلسفة في عصر الإرهاب الرقمي، الدار العربية للعلوم ناشرون
ص 48
31- ماكس هوركهايمر، كسوف العقل: نقد العقل الأداتي،مرجع سابق ، ص 45.
32-- ماكس هوركهايمر وثيودور أدورنو، جدل التنوير: شذرات فلسفية، مرجع سابق ، ص63
33 -هربرت ماركوز، الإنسان ذو البعد الواحد، مرجع سابق ، ص 64
34- كانط ، نقد ملكة الحكم ، مرجع سابق ، ص 120 .
35- المرجع السابق ، ص 125 .
36- عمار بن رجب،أخلاقيات الذكاء الاصطناعي والمراقبة البيومترية: مأزق الخصوصية في العصر الرقمي ، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية مجلة علمية دولية محكمة تصدر عن مركز جيل البحث العلمي، لبنان ، السنة السابعة، العدد 64، يونيو 2020، ص 45 .
37-المرجع السابق ، ص 63 .
38- عبد السلام الزبيدي ، الحقيقة في زمن الخوارزميات.. الإنسان بين الوعي والأتمتة ، ط 1 دار الرافدين للنشر، 2025 ، ص 88 .
39 – محمد مصباحي، نقد العقل الرقمي: العقل البشري في مواجهة الذكاء الاصطناعي ، ط 1، الدوحة/بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.ص 195 .
40- هانز يوناس ، مبدأ المسؤولية ، ترجمة : اسماعيل نصدق ، مؤسسة هنداوي مصر ، 2010 ،ص 87
41- محمود أمين العالم، الإنسان والموقف الفلسفي من التقنية، دار الثقافة الجديدة ، 1998 ، ص 92.
42 -يورغن هابرماس، العلم والتقنية كـ "أيديولوجيا"، ترجمة: حسن صقر، منشورات الجمل، ط 1 ، 1968 ، ص 81 .
43- على أمحمد مطلب أبو بن. (2026). فلسفة الجمال والفن في الفلسفة الغربية كانط نموذجا 41804-172م. *مجلة الفاروق للعلوم* , *2* (1), 790-801.